

تفسير البحر المحيط

@ 152 @ بالكافر . ولأنه قسيم المؤمنين في قوله : { يُوْؤَمِنُونَ بِهِ وَ مَن هُوَ لاء
مَن يُوْؤَمِنُ } ، وهذه بالظالمين ، لأنه جحد بعد إقامة الدليل على كون الرسول صدر منه
القرآن منزل عليه ، وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب ، فهم الظالمون بعد ظهور المعجزة . .
{ وَقَالُوا لَوْ لَآ أُنْزِلَ عَلَيْهِ * آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ } : أي قريش ، وبعض اليهود
كانوا يعلمون قريشاً مثل هذا الاقتراح يقولون له : ألا يأتاكم بآية مثل آيات موسى من
العصا وغيرها ؟ وقرأ العربيان ، ونافع ، وحفص : آيات ، على الجمع ؛ وباقي السبعة : على
التوحيد . { قُلْ إِن زُمَّ مَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ } ، ينزل أيتها شاء ، ولو شاء أن
ينزل ما يقترحونه لفعل . { وَإِن زُمَّ مَا أَنزَلْنَا نَذِيرٌ } بما أعطيت من الآيات . وذكر
يحيى بن جعدة أن ناساً من المسلمين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، بكتب قد كتبوا
فيها بعض ما يقول اليهود ، فلما نظر إليها ألقاها وقال : (كفر بها جماعة قوم أو ضلالة
قوم أن يرغبوا عما جاء به نبيهم إلى ما جاء به غير نبيهم) ، فنزلت : { أَوَلَمْ *
يَكْفُرْهُمْ } . .

والذي يظهر أنه رد على الذين قالوا : { لَوْ لَآ أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ }
: أي أو لم يكفهم آية مغنية عن سائر الآيات ، إن كانوا طالبين للحق ، غير متعنتين هذا
القرآن الذي تدوم تلاوته عليهم في كل مكان وزمان ؟ فلا تزال معهم آية ثابتة لا تزول ولا
تضمحل ، كما تزول كل آية بعد وجودها ، ويكون في مكان دون مكان . إن في هذه الآية
الموجودة في كل مكان وزمان لرحمة لعظمة لا تنكر وتذكر . وقيل : { أَوَلَمْ *
يَكْفُرْهُمْ } : يعني اليهود ، { أَن زُمَّ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْهِ كَالْكِتَابِ يُتْلَى
عَلَيْهِمْ * } : أي زُمَّ مَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِن زُمَّ مَا أَنزَلْنَا نَذِيرٌ مَّبِينٌ *
أَوَلَمْ يَكْفُرْهُمْ * أَن زُمَّ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْهِ كَالْكِتَابِ يُتْلَى عَلَيْهِمْ * إِن
فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةٌ وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيِّنَاتِي
وَبَيِّنَاتِكُمْ شَهِيداً } : أي قد بلغت وأنذرت ، وأنكم جحدتم وكذبتم ، وهو العالم { مَا
فِي السَّمَاوَاتِ * وَالْأَرْضِ } ، فيعلم أمري وأمركم ، { وَالَّذِينَ آمَنُوا
بِالْبَيِّنَاتِ } . قال ابن عباس : بغير الله . وقال مقاتل : بعبادة الشيطان . وقيل :
بالضم . .

{ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ } : أي كفار قريش في قولهم : { ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا } ،
وقول النصر : { فَأَمَّا مَطَرُ عَلَيْنَا حَجَارَةٌ } ، وهو استعجال على جهة التعجيز

والتكذيب والاستهزاء بالعذاب الذي كان يتوعدهم به الرسول . والأجل المسمى : ما سماه □
 وأثبتته في اللوح لعذابهم ، وأوجبت الحكمة تأخيره . وقال ابن جبير : يوم القيامة . وقال
 ابن سلام : أجل ما بين النفختين ، وقيل : يوم بدر . { وَلَئِنَّا تَيَذَّنُوهُمْ بِغَتَّةٍ } :
 أي فجأة ، وهو ما ظهر يوم بدر ، وفي السنين السبع . ثم كرر فعلهم وقبحه ، وأخبر أن
 وراءهم جهنم ، تحيط بهم . وانتصب { يَوْمَ يَغْشَاهُمْ } بمحيطة . وقرأ الكوفيون ،
 ونافع : { وَيَقُولُ } : أي □ ؛ وباقي السبعة : بالنون ، نون العظمة ، أو نون جماعة
 الملائكة ؛ وأبو البرهثيم : بالياء ، أي جهنم ؛ كما نسب القول إليها في : { وَتَقُولُ
 هَلْ مِنْ مَّزِيدٍ } . وقرأ ابن مسعود ، وابن أبي عبله : ويقال ، مبنياً للمفعول . .
 { تَعْمَلُونَ بَاعِيدٍ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنَّآ
 فَءَعْبُدُونَ كُلَّ نَفْسٍ ذَائِقَةً ءَلْمَوتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ
 وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدَّبُوهُنَّ لَهُمْ مِّنَ الْجَنَّةِ
 غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ
 الْعَامِلِينَ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ وَكَأَيِّن مِّن
 دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ
 الْعَلِيمُ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مِّنْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَسَخَّرَ
 الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنزَىٰ يُؤْفِكُونَ اللَّهُ يَسْطُرُ
 الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ
 عَلِيمٌ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مِّنْ